مجلة أبحاث البصرة (العلوم الإنسانية) المجلد ٣١، العدد:١، الجزء:أ ، ص٩٠-١٠٥

علاقة القضاة المماليك البحرية بالسلطة الحاكمة في مصر

(٦٤٨ـ٧٨٤هـ / ١٢٦١ـ١٣٨٢م)

علي صالح رسن المحمداوي

جامعة البصرة / كلية التربية

قسم التاريخ

قبل الخوض في تفاصيل البحث لابد من الإجابة على عدة أسئلة منها ، من هم المماليك ؟ وما معنى كلمة مملوك اللغوي والاصطلاحي ؟ ، وما أصولهم ، ولماذا سموا بالمماليك ؟ ، وهل وردت التسمية في القرآن الكريم والسنة ؟ ، وكيف وصلوا إلى مقاليد السلطة ؟ ، ولماذا سموا بالمماليك البحرية ؟ ، ومتى بدأ حكمهم ؟ .

هذه أبرز الحيثيات ، التي يمكن الإجابة عليها ليكون القارئ على بينة مما يقرأ عن حكم المماليك ، ولنبدأ بتعريف المملوك في اللغة .

المملوك :ـ العبد ويقال عبد مملكه إذا ملك ، ولم يملك أبوه ، أو عبيد مملكه تعريفاً عن العبد بمعنى القن الذي ملك هو وأبواه (١) .

والمماليك جمع ، والمفرد منه مملوك ، وهو اسم مفعول مشتق من الفعل (ملك)(٢) وقد أشار الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي الى مطابقة هذا المعنى(٣) ، لمجيئه في القرآن الكريم كقوله تعالى : بسم الله الرحمن الرحيم ما ملكت يمينكم (٤) وقد ذكر الدكتور اليوزبكي أن يذكر أية قرب في معناها هو ماجاء في قوله تعالى : "ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً وهل يستون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون" (٥) .

كما وردت التسمية في الحديث الشريف مراراً وتكراراً ، ومنه ما ورد في صحيح مسلم على لسان أحد الصحابة قوله : "أتيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بطعام ، وأنا مملوك فقلت هذه صدقة ، فأمر أصحابه فأكلوا ، ولم يأكل ، ثم أتيته بطعام ، فقلت هذه هدية أهديتها لك أكرمك بها ، فإن رأيتك لا تأكل الصدقة ، فأمر أصحابه فأكلوا وأكل معهم" (٦) .

والمملوك عبد يباع ويشترى ، غير ان التسمية على فئة الرقيق الأبيض ، يشتريهم الحكام من أسواق النخاسة ، لتكوين فرقة عسكرية خاصة في أيام السلم وأضافتها الى الجيش العام أيام الحرب ، ثم صار المملوك الإدارة البحرية الوحيدة في دولة المماليك في مصر والشام(٧) .

وفي الوقت الحاضر تغير مدلول الكلمة ، وأصبحت من الناحية الفنية العبد ، والعبد المملوك ، والفرق الوحيد بين العبد ، والعبد المولود ، هو ان العبد ينحدر من أبوين حرين ، والعبد المولود ينحدر

من أبوين عبدين ، واكتسبوا صفة العبودية عن طريق الشراء ، أو الأسر([viii]) والمعروف ان المعتصم بالله العباسي ٢١٨ ـ ٢٢٧ هـ/٨٣٣ ـ ٨٤٢م ، أول من شكل فرقا عسكرية من الأتراك([ix]) .

إلا ان الدكتور علي إبراهيم حسن ، يرجع وجود الأتراك في الدولة العربية الإسلامية إلى عهد المأمون العباسي ١٩٨ ـ ٢١٨هـ/٨١٣ ـ ٨٣٣م ، إذ كان في بلاطه بعض المماليك المعتوقين([x]) .

وقد رجح الدكتور احمد مختار العبادي وجود المماليك إلى ما قبل عهد المعتصم([xi]) مدللا على ذلك بدليل استقاه من الكندي ، وهو ولاية يحيى بن داود الخرسي أمارة مصر ١٦٢ ـ ١٦٤هـ/٧٧٨ ـ ٧٨٠م ، من قبل المهدي العباسي ، ويحيى هذا مملوك تركي([xii]) .

ومن هذا يتضح ان وجود المماليك في مصر يعود إلى عهود ما قبل قيام دولتهم حيث وجدت لهم شذرات في عصر الدولة الطولونية والإخشيدية والفاطمية ، حيث اتخذ أمراؤهم جنودا من المماليك لكن على نطاق محدود فلم يزيدوا عن فرقة الحرس الخاص بالأمير والخليفة واستقروا على تلك الحدود الضيقة([xiii]).

ولما انتقلت السلطة الى الأيوبيين ٥٦٧هـ ـ ١١٧١م ، ساروا على نهج أسلافهم ، وأكثروا من شراء المماليك الترك ، وبنيت لهم ثكنات عسكرية بجزيرة الروضة أيام الملك الكامل نجم الدين أيوب ٦٣٧ ت ٦٤٧هـ/٢٤٠ ـ ٢٥٠م ، وأطلق عليهم اسم المماليك البحرية([xiv]) .

وهؤلاء من المماليك الترك الذين تم شراؤهم من شبه جزيرة القرم والقوقاز وما جاور بحر قزوين ، وقد اكثر من شراؤهم الملك الصالح أيوب ثم تدرج بعض رؤساؤهم في الخدمة حتى توالوا على المناصب وصولا الى كرسي الحكم وتولي السلطة في مصر([xv]) .

أما عن تسميتهم بالمماليك البحرية ، فقد وضع الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي سياق لذلك أولها وهو نسبة إلى جزيرة الروضة في بحر النيل الذين سكنوا فيها أول الأمر وهذا ما يميل اليه معظم المؤرخين ، إما السبب الآخر لتسميتهم جاءت لكونهم جلبوا عن طريق البحر بوساطة تجار الرقيق([xvi]). ونحن بدورنا نرجح السبب الأول لأنه أقرب الى الصواب لأن الأسماء على مسمياتها . وإذا كان السبب الثاني فيه شيء من الصحة فلماذا لم يسموا الشركسة بهذا الاسم أي بالبحرية .

حكم المماليك مصر سنة ٦٤٨هـ/١٢٥٠م ، حتى سنة ٩٢٢هـ ، حيث تم إسقاط حكومتهم على يد العثمانيين ، وتنقسم فترة حكم المماليك إلى قسمين الدولة الأولى والتي تسمى دولة المماليك البحرية([xvii]). الثانية دولة المماليك البرجية([xviii]) والذي يعنينا من دراستنا الدولة الأولى أو البحرية والذي يهمنا في هذا الصدد ، دراسة علاقة القضاة بالسلطة الحاكمة ، متمثلة في علاقتهم بالخلافة العباسية وعلاقتهم بالسلاطين المماليك ، ولبيان ذلك نجعل هذه العلاقة على انفراد ، ولنبدأ بعلاقتهم بالخلفاء العباسيين في مصر([xix]).

بدأت الخلافة العباسية في مصر[xx] متزامنة مع مجيء السلطان الظاهر بيبرس إلى السلطة الذي أراد أحياء الخلافة كوسيلة لتدعيم سلطانه ، باعتباره حامي الدين الإسلامي فأراد ان يدعم سلطته بسلطة شرعية تدعم سلطته وتؤيدها . فأرسل وفدا إلى بلاد الشام يبحث عن شخص من أفراد البيت العباسي لكي ينصبه خليفة للمسلمين في مصر لا بدافع الحب والعطف على العباسيين بقدر ما هي وسيلة وشوكة بعين الطامعين في عرشه ، ولهذا تحقق مأرب بيبرس سنة ٦٥٩هـ ـ ١٢٦٠م ، عندما قدم إلى مصر أحد أفراد البيت العباسي اسمه أبو القاسم أحمد بسبب مضايقة المغول له فخرج السلطان وقاضي قضاته تاج الدين بن بنت الأعز([xxi]) والأمراء لاستقباله وبعد وصوله القاهرة عقد له مجلساً حضره الأعيان والعلماء في حضرة قاضي القضاة ابن بنت الأعز لثبوت نسب الأمير الوافد من البيت العباسي فشهد من وفد معه بأنه الأمير احمد بن الظاهر بأمرالله ، وأخذ قاضي القضاة يتحقق من صحة نسبه ، فأوكل إلى بعض الشهود التأكد من ذلك ، وسماع شهادة الوافدين ، وبعد إجراءات معمقة تمت سلامة نسبه للبيت العباسي فبايعه قاضي القضاة ، ثم السلطان ولقب بالخليفة المستنصر([xxii]).

وقد أجمعت معظم المصادر على ان قاضي القضاة أول من بايع الخليفة ، ثم تلاه السلطان، إلا ان السيوطي قد خالفهم وانفرد في ذكر رواية لم تعرف مصدرها ، ذكر فيها ان السلطان بيبرس هو الذي بايع الخليفة ، ثم تلاه قاضي القضاة([xxiii]) وهذه رواية ضعيفة لا تؤيدها الأدلة ، لأن السلطان لا يملك شيئا من الشرعية حتى يبايع الخليفة ، ولا هو من أصحاب الحل والعقد حتى يبايع ، ثم ان السلطان نفسه أوكل مهمة التحقيق والتأكد من صحة نسب الخليفة إلى قاضي القضاة ، صاحب الحل والعقد ، بموجب الشرع الإسلامي([xxiv]) هذا ولم تعرف الدوافع التي دفعت السيوطي إلى ذكر هذه الرواية .

ومن خلال ما تقدم نؤكد ان قاضي القضاة أول من بايع الخليفة ، ثم بايعه السلطان ، لكن هذا لا يعني ان قاضي القضاة أعلى شأناً أو أرقى منزلة من السلطان ، وأن سبب تقدمه على السلطان هو لإضفاء الطابع الشرعي لا غيرها ، علما بأن بيعة القضاة لخلفاء كانت أسمية لا فعلية ، ويبقى الأمر متروك للسلطان يولي ويعزل من يشاء ، رغم انه يستشير القضاة في أمر بيعة الخليفة كما سنرى .

والدليل على ذلك ما حدث سنة ٦٦٠هـ /١٢٦١م ، وهي السنة التي توفي فيها الخليفة المستنصر ، حيث شغر منصب الخلافة بعد وفاته سنة كاملة ، حتى سنة ٦٦١هـ/١٢٦٢م، حيث حضر الأمير ابو العباس احمد احد إفراد البيت العباسي ، الذي اراد ان يكون خليفة لسلفه المستنصر ، إلا ان السلطان بيبرس لم يبايعه بالخلافة إلا بعد ان أمر بعمل شجرة نسب ترجعه إلى البيت العباسي ، فعملت وقرئ نسبه على قاضي القضاة ابن بنت الأعز ، فلما ثبت ذلك بايعه السلطان وعامة الناس ، ولقب بالخليفة الحاكم بأمرالله([xxv]) والملاحظ ان هذه البيعة لا تختلف بشيء عن عامة البيعة السابقة ، وهذه تؤيد ما ذهبنا إليه من ان قاضي القضاة أول من يبايع ، ثم يليه السلطان .

وقبل وفاة الخليفة الحاكم سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م عهد بالخلافة إلى ابنه أبي الربيع سليمان من بعده([xxvi])إلا ان السلطان الناصر لم يمضي له عهد أبيه . إلا بعد ان استشار قاضي قضاته تقي الدين

دقيق العيد[xxvii]الشافعي وسأله عن مدى صلاحيته للخلافة حيث أشار عليه بصلاحيته لها ، رغم صغر سنه ، وعلى اثر ذلك عقد له مجلساً حضره القضاة والأمراء ، وتمت بيعته سنة ٧٠١هـ/١٣٠١م ، ولقب بالخليفة المستكفي بالله [xxviii] .

وفي سنة ٧٣٨هـ/١٣٣٧م ابعد الخليفة المستكفي بالله الى مدينة قوص [xxix] بسبب حدوث نزاع بينه وبين السلطان الناصر ، عندما طلبه الخليفة بالحضور إلى مجلس الشرع ، فغضب السلطان من ذلك وأبعده إلى هناك[xxx] وأوصى بولاية العهد لأبنه احمد وأثبت ذلك عند قاضي قوص بشهادة (٤٠) عدلاً . وبعد وفاة الخليفة سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م لم يقر السلطان الناصر ولاية عهد الخليفة لأبنه بسبب حقد متأصل ، وأراد نقل الخلافة إلى شخص عباسي آخر اسمه إبراهيم[xxxi] واخبر القضاة بذلك إثناء اجتماعهم بدار العدل وأمرهم ببيعة إبراهيم ، إلا ان القضاة رفضوا ذلك وافتوا بعدم صلاحية إبراهيم للخلافة من جهة وذكروا عهد الخليفة المستكفي لأبنه بالخلافة من بعده من جهة أخرى ، إلا ان السلطان لم يعبأ برأيهم ، وطلب إبراهيم وحدثه ، وذكر سوء سيرته ، فأظهر الأخير التوبة ، والتزم سلوك طريق الخير ، فاستدعى السلطان القضاة ، وأخبرهم بأنه ولى إبراهيم الخلافة فأخذ قاضي القضاة عز الدين عبد العزيز جماعة[xxxii] يعرفه بعدم أهلية إبراهيم للخلافة لسوء سيرته فرد عليه السلطان بأنه تاب ، والتائب من الذنب، كمن لا ذنب له ، ثم قال السلطان أني وليته فأشهدوا علي بولايته ، فلم يعارضه أحد من القضاة ، فبايعوه ولقب بالخليفة الواثق[xxxiii] وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من ان بيعة القضاة للخليفة اسمية ، لإضفاء الطابع الشرعي فقط ، وان الرأي الأول والأخير متروك للسلطان يولي ، ويعزل من يشاء .

استمر الواثق بالخلافة حتى وفاة السلطان الناصر سنة ٧٤١هـ/١٣٤٠م حيث اجتمع القضاة بجامع القلعة للنظر في أمر ولي العهد احمد بن المستكفي وعودته للخلافة ، فاتفقوا على خلع الواثق ، وأعادة احمد بن المستكفي إلى الخلافة ، بموجب العهد الذي أبرمه والده في حضرة قاضي قوص[xxxiv]فبايعه السلطان المنصور سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م . ثم بايعه القضاة[xxxv] والملاحظ على هذه البيعة . إنها تختلف عن أسلافها ، حيث جرت العادة ان قاضي القضاة هو الذي يبايع الخليفة أولا ، ثم السلطان وبقية الأمراء ثانياً . ومن هذا يتضح ان السلطان لم يقم وزناً لرأي القضاة .

وقد ذكر السيوطي ت ٩١١هـ/١٥٠٥م رواية مفادها ان الملك الناصر لما أحس بدنو أجله أوصى بأعادة البيعة الى احمد بن المستكفي بالخلافة ، وبعد وفاة الملك الناصر عقد مجلساً حضره الملك المنصور والقضاة ، وسألهم عمن يستحق الخلافة شرعاً ـ فأجابه قاضي القضاة عزالدين عبدالعزيز بن جماعة ان الخليفة المستكفي أوصى بالخلافة لأبنه احمد وثبت ذلك عند قاضي قوص بشهادة (٤٠) عدلاً وعلى اثرها خلع الواثق وبويع احمد بن المستكفي بالخلافة .[xxxvi]

واذا وضعنا هذه الرواية تحت البحث والتحقيق لأتضح عدة أمور من جملتها يمكن ان تكون وصية الملك الناصر بأعادة بيعة الخليفة مختلفة وموضوعة لعدة احتمالات منها : اذا كان السلطان الناصر مقتنعاً بتولية احمد بن المستكفي بالخلافة ، فلماذا لم يبايعه في حياته ؟ واذا كان أوصى برد البيعة الى صاحبها الشرعي ، فلماذا السلطان المنصور يستشير القضاة فيمن يصلح للخلافة مازال ابوه قد اوصاه بذلك ، واذا افترضنا ان احمد بن المستكفي لم يصلح للخلافة ، فلماذا أوصى السلطان الناصر برد البيعة اليه ؟ وهل ان السلطان يولي الخلافة لمن هو جدير بولايتها ؟ الجواب لا ، لأن السلطان الناصر قد ولى الخليفة الواثق سيء السيرة الذي كان يلقب بالمستعطي ، لأنه يستعطي من عوام الناس ونسد ماينقصه.[xxxvii]

ويبدو ان عودة البيعة لأبن المستكفي ، كانت بمشورة القضاة على السلطان المنصور دون وصية الملك الناصر ، وهذا ماأكده الدكتور محمد جمال الدين سرور بقوله "مشورة قاضي القضاة عزالدين بن جماعة اثرها البالغ على السلطان"[xxxviii].

علاقة القاضي بالسلطان :-

أما عن علاقة القضاة مع سلاطين المماليك ، فقد تميزت بالمد والجزر ، وكانت على الأغلب علاقات طيبة ، لكن مع ذلك لم تكن تخلو من سلبيات ، وتوجيه عقوبات لبعض القضاة لأسباب مختلفة ، أما عن العلاقات الطيبة ، فقد تمثلت بمرافقة القضاة للسلاطين في مواكبهم ، وأسفارهم ، وذهابهم للحج ، وخروجهم للحرب ، حيث يمثل وجود القضاة في الحرب دعماً معنوياً للجند .

وكان القاضي يرافق السلطان في خروجه من بيته إلى مقر حكمه في القلعة[xxxix] وجرت هذه العادة أيام السلطان المعز أيبك ، الذي كان يرافقه قاضي القضاة بدر الدين السنجاري [xl]في موكبه حتى صعوده القلعة[xli] .

وفي حالة ذهاب السلطان للحج يصحب معه أحد القضاة يستفتيه طول الطريق ويتفهم منه أمور دينية ، لأن القاضي من أصحاب الحل والعقد ، والممثل الشرعي ، فيكون حضوره ضرورياً مع السلطان ، ففي سنة ٦٦٠هـ/١٢٦١م حج السلطان بيبرس برفقة قاضي القضاة صدر الدين سليمان الحنفي*[xlii] وعندما حج السلطان الناصر سنة ٧١٩هـ/١٣١٩م كان يرافقه قاضي القضاة بدر الدين بن جماعة الشافعي[xliii]، فلما وصلا مكة أظهر السلطان التواضع والذلة والمسكنة وسجد عند معاينة بيت الله الحرام سجود عبد ذليل فتقدم إليه قاضي القضاة المذكور ، وحسن له ان يطوف وهو راكب كما طاف النبي (ص) ، فرفض السلطان وقال "من أنا حتى أتشبه بالنبي (ص) " [xliv] .

من ذلك يتضح كيف يتودد ابن جماعة للسلطان ، فالمعروف انه الشافعي و هل يجوز مذهب الشافعي ذلك ؟ ان قاضي قضاة كهذا هل ينتظر منه ان يطبق العدالة في أحكامه ؟ وأي عدالة وهو يسوغ للناس أعمالاً باطلة ويضلهم السبيل .

وأصبح المعتاد بعد رجوع قاضي القضاة من الحج ان يحضر ويسلم على السلطان فعندما حج قاضي القضاة عز الدين بن جماعة سنة ٧١٦هـ/١٣١٦م توجه بعد رجوعه من الحج مع قاضي القضاة موفق الدين الحنبلي(xlv) وسلم على السلطان الناصر وكذلك قاضي القضاة برهان الدين الاخنائي**بعد رجوعه من الحج سنة ٧٧٧هـ/١٣٧٥م سلم على السلطان الأشراف ناصر الدين شعبان الثاني فأكرمه(xlvi) .

وقد وصلت علاقة السلطان الناصر مع قاضي القضاة جلال الدين القزويني(xlvii) حداً بعيداً ، حيث ولاه قضاء مصر سنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م ، وعظم شانه ، وبلغ من العز والوجاهة مالا يوصف ، وذهب معه للحج وأعطاه ما يكفيه من الأموال ، وإذا جلس بدار العدل لم يكن لأحد معه كلام ، وينظر في الشكاوى ، ويقضي طلبات الناس عند السلطان(xlviii) .

لكن مع ما تقدم تبقى علاقة القاضي بالسلطان علاقة سيد ومسيود ، حيث كانت هيبة القاضي تضعف لهيبة السلطان ، وبهذا الصدد يذكر ابن تغرى بردى حديثاً بين السلطان الناصر حسن والأمراء والقضاة . حيث كان السلطان يسألهم ... هل لأحد عليّ ولايه ، أو أنا حاكم نفسي فقال الجميع .... ، ما ثم أحد يحكم على مولانا السلطان هو مالك رقابنا فقال اذا قلت لكم شيئا ترجعوا إليه قالوا جميعهم تحت طاعة السلطان وممتثلون ما يرسم به "(xlix) .

من هذا يتضح شكل العلاقة بين الجانبين ، فالقضاة منفذون لكل أمر يصدر عن السلطان ، ومع وجود العلاقات الطيبة بين الجانبين ، لكن هذا لا يعني عدم وجود علاقات غير طيبة . حيث تعرض بعض القضاة للتعذيب ، والعزل ، والمصادرة ، ولنا خير مثال في قاضي القضاة تقي الدين بن بنت الأعز الشافعي ت ٦٩٥هـ/١٢٩٥م ، حيث تعرض للعقوبة والتعذيب (l) والعزل من قبل السلطان الملك الإشراف صلاح الدين خليل(li) .

ولما كثرت مساوئ قاضي القضاة حسام الدين الغوري ، تعرض للعقوبة والتشريد خارج مصر(lii) .

جدول رقم (١)

الخلفاء العباسيون في مصر والسلاطين المعاصرون لهم

(٦٥٩ ــ ٧٨٤هـ = ١٢٦١ ــ ١٣٨٢م)

السنوات	سلاطين المماليك	الخلفاء العباسيون
٦٤٨هـ = ١٢٥٠م	المعز أيبك	
٦٥٥هـ = ١٢٥٧م	المنصور نورالدين علي	المستعصم
٦٥٧هـ = ١٢٥٩م	المظفر سيف الدين قطز	
٦٥٨هـ = ١٢٦٠م	الظاهر بيبرس	
٦٥٩هـ = ١٢٦١م		
٦٦١هـ = ١٢٦٣م	السعيد بركة خان	المستنصر بالله أبوالقاسم احمد
٦٧٦هـ = ١٢٧٧م	العادل بدر الدين سلامش المنصور سيف الدين قلاوون	الحاكم بامرالله أبوالعباس احمد
٦٧٨هـ = ١٢٧٩م	الاشرف صلاح الدين خليل	
٦٨٩هـ = ١٢٩٠م	الناصر محمد [سلطنته الاولى]	
٦٩٣هـ = ١٢٩٤م	العادل زين الدين كتبغا	
٦٩٤هـ = ١٢٩٤م	المنصور حسام الدين لاجين	
٦٩٦هـ = ١٢٩٦م	الناصر محمد [سلطنته الثانية]	
٦٩٨هـ = ١٢٩٩م		
٧٠١هـ = ١٣٠٢م	بيبرس الجاشنكير	
٧٠٨هـ = ١٣٠٨م	الناصر محمد [سلطنته الثالثة]	
٧٠٩هـ = ١٣٠٩م		المستكفي بالله ابوالربيع سليمان
٧٤٠هـ = ١٣٣٩ . ١٣٤٠م		
٧٤١هـ = ١٣٤٠ . ١٣٤١م	المنصور سيف الدين أبوبكر	الواثق بامر الله
٧٤٢هـ = ١٣٤١م	الاشرف علاء الدين كجك	الحاكم بأمرالله ابوالعباس احمد
٧٤٢هـ = ١٣٤١م	الناصر شهاب الدين احمد	بن المستكفي
٧٤٣هـ = ١٣٤٢م	الصالح عمادالدين اسماعيل	
٧٤٦هـ = ١٣٤٥م	الكامل سيف الدين شعبان	
٧٤٧هـ = ١٣٤٦م		
٧٤٨هـ = ١٣٤٧م	المظفر زين الدين حاجي	
٧٥٢هـ = ١٣٥١م	الناصر حسن [سلطنته الاولى]	
٧٥٣هـ = ١٣٥٢م	صلاح الدين صالح	
٧٥٥هـ = ١٣٥٤م		المعتضد بالله ابوالفتح ابوبكر
٧٦٢هـ = ١٣٦١م	الناصر حسن [سلطنته الثانية]	المستكفي
٧٦٣هـ = ١٣١٦م	المنصور صلاح الدين محمد	
٧٦٣هـ = ١٣٦٣م	ابن حاجي	
٧٦٤هـ = ١٣٦٣م		المتوكل على الله أبوعبدالله
٧٧٨هـ = ١٣٧٦م	الاشرف زين الدين شعبان	محمد
٧٨٢هـ = ١٣٨١م	المنصور علاء الدين علي	
	الصالح زين الدين حاجي	

نقلاً عن د . علي ابراهيم حسن : تاريخ المماليك البحرية .

الهوامش

(١) ابن منظور : لسان العرب (بيروت ـ د . ت) مادة ملك .

(٢) مصطفى السقا وآخرون : المعجم الوسيط (طهران ـ د.ت) مادة ملك ٨٩٣/٢ .

(٣) تاريخ تجارة مصر البحرية : (الموصل ـ ١٩٧٥) .

(٤) الأحزاب : ٥٠ .

(٥) النحل : ٧٦ .

(٦) ابن حنبل : المسند (بيروت ـ د.ت) ، ٤٣٩/٥ كما وردت كلمة المملوك في كتب الصحاح في موارد عديدة يمكن الرجوع اليها في أ .ب ، ونسنك وآخرون ، المعجم المفهرس الألفاظ الحديث النبوي (ليدن ـ ١٩٦٢) ، ٢٦٩/٦ .

(٧) احمد مختار العبادي : قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام (بيروت ـ ١٩٦٩)١١.

(٨) د. توفيق سلطان اليوزبكي : تاريخ تجارة مصر / ٩ .

(٩) ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة (المؤسسة المصرية العامة د.ت) ، ٢٣٣/٢ . السيوطي : تاريخ الخلفاء (تح محمد محي الدين عبد الحميد ، مصر ـ ١٩٥٢) /٢٣٦ .

(١٠) تاريخ المماليك : ٢٣ .

(١١) قيام دولة المماليك : ١٣ .

(١٢) الولاة والقضاة : (بيروت ـ ١٩٠٨) / ١٢٢ .

(١٣) د.احمد مختار العبادي : قيام دولة المماليك/١٣،علي إبراهيم حسن: تاريخ المماليك/٢٣ .

(١٤) د.علي إبراهيم حسن : تاريخ المماليك/٢٤. د.توفيق سلطان اليوزبكي: تجارة مصر/١٤.

(١٥) د.علي إبراهيم حسن : تاريخ المماليك/٢٤. د.توفيق سلطان اليوزبكي: تجارة مصر/١٤.

(١٦) د.توفيق سلطان اليوزبكي : تجارة مصر / ١٤ . وينظر السير وليم موير : تاريخ المماليك / ٣٤ .

(١٧) حكم المماليك البحرية مصر سنة ٦٤٨هـ / وحتى سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م ، ينظر الجدول رقم (١) .

(١٨) حكم المماليك البرجية مصر من سنة ٧٨٤هـ/١٣٨٢م وحتى سنة ٩٢٢هـ ، ابن تغري بردى : النجوم الزاهرة ٢٢١/١١ .

(١٩) ينظر الجدول رقم (١) .

(٢٠) عن الخلافة العباسية في مصر ينظر رشيد الدباغ : الخلافة العباسية في مصر ، رسالة دكتوراه غير منشورة جامعة بغداد ـ كلية الآداب ، ١٩٧١ .

(١٠) عبد الوهاب بن أبي القاسم خلف بن أبي الثناء محمود بن بدر العلامي تاج الدين المعروف بابن بنت الأعز من قبيلة لخم ، ولد سنة (٦٠٤هـ ــ ١٢٠٧م) ، توفي أبوه وهو صغير وتربى في حجر جده لأمه الصاحب فخرالدين بن مقدام الملقب بالأعز ولذلك سمي ابن بنت الأعز . اليونيني : ذيل مرآة الزمان (ط١ ، الهند ، ١٩٥٤م)٣٦٩/٢ ، الذهبي : دول الإسلام (ط١ ، الهند ، ١٣٦٤م)١٢٩/٢ ، ابن حجر : رفع الاصر عن قضاة مصر تح حامد عبد الحميد وآخرون ، القاهرة ــ ١٩٥٧ " ٣٧٥/٢ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة (المؤسسة المصرية العامة ، د.ت) ٢٢٢/٧ .

(١١) ابن عبد الظاهر : الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر تح عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦م ٩٩ ، اليونيني : ذيل ١٢٢/٢ ، المقريزي : السلوك لمعرفة دول الملوك تح مصطفى زيادة ، سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٣٤ " ط١ ، ق٤٤٩/٢، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٠٩/٧ ، ابن ظهيرة : الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة تح مصطفى السقا ، الجمهورية العربية المتحدة ، ١٩٦٩" /١٩٤ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس (بيروت ــ د.ت) ٣٧٨/٢ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب (بيروت ــ د.ت) ٢٩٧/٥ .

(١٢) تاريخ الخلفاء : ٤٧٧ .

(١٣) ينظر الماوردي : الاحكام السلطانية والولايات الدينية (ط١٢ بمصر ــ ١٩٦٦) ٢٠ .

(١٤) اليونيني : ذيل ١٨٦/٢ ، الداوداري : كنز الدرر وجامع الغرر تح اولرخ هارمان ، القاهرة ــ ١٩٧١ ، ٩٤/٨ .

(١٥) ابن كثير : البداية والنهاية (ط ، بيروت ــ ١٩٦٦) ١٨/١٤ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس ، ٣١٨/٢ .

(١٦) محمد بن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري أبو الفتح تقي الدين المنفلوطي الأصل المصري القوصي المنشأ المالكي الشافعي ، نزيل القاهرة ولد سنة ٦٢٥هـ/١٢٢٧م بناحية ينبع تولى قضاء مصر سنة ٦٩٥هـ/١٢٩٥م واستمر قاضيا حتى وفاته . الادفوي : الطالع السعيد " تح سعد محمد حسين ، القاهرة ، ١٩٦٦ / ٥٦ ، الذهبي : العبر تح صلاح الدين المنجد ، الكويت ــ ١٩٦٦ " ٣٣١/٥ ، ابن الوردي : تاريخ (النجف ، ١٩٦٩) ٣٦٠/٢ ، الصفدي : الوافي بالوفيات " تح س دريد رينغ" ، دمشق ــ ١٩٥٩" ١٩٣/٤ ، ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ((تح احسان عباس ، بيروت ــ ١٩٧٣) ٤٤٣/٣ ، الاسنوي : طبقات الشافعة ((تح عبدالكريم الجبوري ، ط١ ، بغداد ، ١٩٧٠) ٢٢٧/٢ ، ابن كثير : البداية ٢٧/١٤ ، النبهاني : جامع كرامات الاولياء (مصر ــ ١٣٢٩) ٣٦٦/١ ، الكتاني : الرسالة المستطرفة (الهند ــ ١٩٦٠) ١٩٤٧ .

(٢٨) السيوطي : حسن المحاضرة ٦٢/٢ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات ٣/٦ .

(٢٩) أعظم مدن الصعيد وهي على النيل بنيت ايام القبط . للتفاصيل ينظر المقريزي : الخطط ٤١٥/١ ، ولم يذكرها ياقوت الحموي في معجم البلدان .

(٣٠) ابن اياس : تاريخ مصر (بولاق ــ ١٣١١) ١٧٠/١ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس ٣٨١/٢ .

(٣١) إبراهيم محمد بن الخليفة الحاكم بأمرالله وهو ابن أخ المستكفي . ينظر محمود رزق سليم: عصر سلاطين المماليك (ط٢ ــ ١٩٦٧) ٢٧/١ .

(٣٢) عز الدين عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة بن علي بن جماعة بن حازم بن صخر بن عبد الله بن إبراهيم بن أبي الفضل الكناني الحموي الأصل نزيل القاهرة ، ولد سنة (٦٩٤هـ/١٢٩٤م) ، تولى القضاء في مصر سنة (٧٣٨هـ/١٣٣٧م) ، الحسيني : ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي (دمشق ١٣٤٧) /٤١ ، السبكي : طبقات الشافعية ' تح عبد الفتاح محمد ط١ ، القاهرة ، ١٩٦٣" ٧٩/١ ، ابن حجر : رفع الاصر ٣٥٥/٢ .

(٣٣) المقريزي : السلوك ج٢ ، ق٥٠٢/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٥١/٩ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس ٣٨١/٢ .

(٣٤) المقريزي : السلوك ج٢ ، ق٥٠٢/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ١٥١/٩ ، الديار بكرى : تاريخ الخميس ٣٨١/٢ .

(٣٥) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٥/١٠ ، السيوطي : حسن المحاضرة ٦٩/٢ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات ١٣٥/٦ .

(٣٦) تاريخ الخلفاء / ٤٩٠ .

(٣٧) المقريزي : السلوك ج٢ ، ق٥٠٣/١ ، ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ٤/١٠ .

(٣٨) د.محمد جمال الدين سرور : دولة بني قلاوون (القاهرة ــ د.ت) /٨٢ .

(٣٩) وهي مقر حكومة السلطان . للمزيد ينظر المقريزي : الخطط ١٢١/٣ .

(٤٠) أبو المحاسن يوسف بن الحسن الزراري : صدر معظم وجواد ممدح ، الذهبي : العبرة ٢٧٤/٥ .

(٤١) اليونيني : ذيل ٤٥/٢ ــ ٤٦ .

• صدر الدين سليمان بن أبي العز وهيب الأذرعي ثم الدمشقي شيخ الحنفية في عصره ومن انتهت إليه رئاسة المذهب في زمانه ت ٦٧٧هـ ، تولى قضاء مصر والشام ، ابن الفرات : تاريخ ١١٩/٧ ، النعيمي : الدارس ٤٧٥/١ ، ابن العماد الحنبلي : شذرات ٣٥٧/٥ ، الزركلي : الإعلام ١٩١٧/٣ .

(٤٢) المقريزي : الذهب المسبوك ' تح جمال الدين الشيال ، القاهرة ــ ١٩٥٥" /٨٩ .

٣٠) ابن كثير : البداية ٩٣/١٤ .

٤٠) المقريزي : الذهب المسبوك /١٠٢ ــ ١٠٣ ، ابن تغرى بردى : النجوم /٥٩/٩ .

٤٥) المقريزي : السلوك ج٣ ، ق١ / ٥٠ .

** إبراهيم بن محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران بن رحمة السعدي الاخنائي المالكي ، يلقب برهاب الدين بن علم الدين توفي سنة حوالي سنة (٧٧٧هـ/١٣٧٥م) . ابن حجر : رفع الاصر ٤٠/١ ، البغدادي : هدية العارفين ١٧/١ .

٤٦) المقريزي : السلوك ج٣ ، ق١/٢٥٠ .

٤٧) محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن احمد بن محمد بن عبد الكريم بن الحسن بن علي بن إبراهيم بن علي بن احمد بن دلف بن أبي دلف العجلي القزويني ، ولد سنة (٦٦٦هـ/١٢٦٧م) توفي سنة (٧٣٩هـ/١٢٣٨م) ، ابن كثير : البداية ١٨٥/١٤ ، ابن حجر : الدرر الكامنة تح محمد سيد جاد الحق ، القاهرة ، د.ت' ١٢٠/٤ ، ابن طولون : قضاة دمشق ' تح صلاح الدين المنجد ، دمشق ، ١٩٥٦ " ٨٨ ، طاش كبرى زاده : مفتاح السعادة ومصباح السيادة " تح كامل بكرى ، القاهرة ، ١٣٤٨" ١٨٣/٢ .

٤٨) الصفدي : الوافي بالوفيات ' تح س . دريد رينغ يفيدن ، ١٩٧٤' ٢٤٢/٣ ، ابن طولون : قضاة دمشق /٩٠ ، الشوكاني : البدر الطالع ١٨٣/٢ .

٤٩) النجوم الزاهرة : ٢١٩/١٠ .

٥٠) أبو القاسم عبد الرحمن بن قاضي القضاة تاج الدين بن بنت الأعز ولد سنة (٦٣٩هـ/١٢٤١م) وتولى قضاء مصر والقاهرة ، تعرض لعقوبة صارمة لتفاصيل ينظر السبكي : طبقات ٣١٨/٨ ، الاسنوي : طبقات ١٥١/١ ، ابن كثير : البداية ٣٤٦/١٣ ، ابن الفرات : تاريخ ١٢٤/٨ ، ابن حجر : رفع الاصر ٣٢٧/٢ ، المقريزي : السلوك ج١ ق٣ /٧٧١ ، ابن تغرى بردى : النجوم ٨٢/٨ ، السيوطي : حسن المحاضرة ١٦٧/٢ ، ابن العماد : شذرات ٤٣/٥ .

٥١) حسن بن محمد بن محمد بن علي حسام الدين البغدادي الغوري الأصل الحنفي ، ولد في بغداد ، ثم قدم مصر سنة (٧٣٨هـ/١٢٣٧م) تعرض لغضب العامة بسبب سوء سيرته واشترط عليه من قبل السلطان الخروج من مصر فسافر إلى دمشق ثم إلى بغداد ، أبي الفداء : المختصر في أخبار البشر (مصر ــ د.ت) ١٣٧/٤ ، المقريزي : السلوك ج٢ ق٣ /٦١١ ــ ٦١٢ ، ابن حجر : رفع الأصر ٢٠٢/١ ، الدرر ١٢٧/٢ .

المصادر والمراجع

١ ــ القرآن الكريم .

٢ ــ الأنفوي : كمال الدين جعفر ت ٧٤٨هـ/١٣٤٨م .

الطالع السعيد الجامع في أسماء نجباء الصعيد ، تح سعد محمد حسن ، الدار المصرية ، ١٩٦٦ .

٣ ــ الاسنوي ،جمال الدين عبد الرحيم ت ٧٧٢هـ/١٣٧٠م .

طبقات الشافعية " تح عبد الله الجبوري ط١ بغداد ــ ١٩٧٠ " .

٤ ــ ابن اياس ، محمد بن احمد الحنفي ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م .

تاريخ مصر المشهور ببدائع الزهور في وقائع الدهور " بولاق ــ ١٣١١هـ " .

٥ ــ البغدادي ، إسماعيل باشا .

هدية العارفين (استنبول ــ ١٩٥٥) .

٦ ــ ابن تغرى بردى ، جمال الدين أبو المحاسن ت ٨٧٤هـ/١٤٩٦م .

النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة (المؤسسة المصرية ، د.ت) .

٧ ــ ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م .

رفع الاصر عن قضاة مصر (تح حامد عبد المجيد وآخرون ، القاهرة ــ ١٩٥٧) .

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (تح محمد سيد ط٢ ، مصر ، ١٩٦٦) .

٨ ــ حسن ، الدكتور علي ابراهيم .

تاريخ المماليك البحرية (ط٣ ، القاهرة ، ١٩٦٧) .

٩ ــ الحسيني ، شمس الدين ت ٧٦٥هـ/١٣٦٣م .

ذيل تذكرة الحفاظ للذهبي (دمشق ، ١٣٤٧هـ) .

١٠ــ الحموي ، ياقوت .

معجم البلدان (طهران ، ١٩٦٥) .

١١ــ ابن حنبل ، احمد ت ٢٤١هـ/٨٥٥م .

المسند ، (بيروت ، د.ت) .

١٢ــ الدباغ ، بثينة رشيد .

الخلافة العباسية في مصر ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، جامعة بغداد ، كلية الآداب ، ١٩٧٠ .

١٣ــ الدواداري :

كنز الدرر وجامع الغرر (تح اولرخ هارمان ، القاهرة ، ١٩٧٠)

١٤ــ الديار بكرى ، حسن بن محمد ت ٩٩٠هـ/١٥٨٢م .
تاريخ الخميس في أحوال (بيروت ــ د.ت) ، أنفس .
١٥ــ الذهبي ، شمس الدين احمد ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م .
دول الإسلام (ط١ ، الهند ، ١٣٦٤) .
العبر في خبر من غبر (تح صلاح الدين المنجد ، الكويت ، ١٩٦٦) .
الزركلي ، خير الدين .
الإعلام (ط٣ ، بيروت ، ١٩٦٩) .
السقا ، مصطفى إبراهيم وآخرون .
المعجم الوسيط (طهران ، د.ت) .
١٦ــ السبكي ، عبد الوهاب بن علي ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م .
طبقات الشافعية الكبرى (تح عبدالفتاح محمد وآخرون ، ط ، القاهرة ، ١٩٦٤) .
١٧ــ سليم ، محمود رزق .
عصر سلاطين المماليك ونتاجهم العلمي والأدبي (ط٢ ، المطبعة النموذجية ، ١٩٦٧).
١٨ــ السيوطي ، جلال الدين عبد الرحمن ت ٩١١هـ/١٥٠٥م .
حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (تح محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط١ ، دار إحياء الكتاب ، ١٩٦٨) .
تاريخ الخلفاء ، ط١ (تح محمد محي الدين عبد الحميد ، مصر ، ١٩٥٢) .
١٩ــ ابن شاكر الكتبي ، محمد ت ٧٦٤هـ/١٣٦٤م .
فوات الوفيات (تح احسان عباس ، بيروت ، ١٩٧٣) .
٢٠ــ الشوكاني ، محمد بن علي ت ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م .
البدر الطالع بمحاسن ما بعد القرن السابع (ط١ ، القاهرة ، ١٣٤٨م) .
٢١ــ الصفدي ، صلاح الدين خليل ت ٧٦٤هـ/١٣٦٣م .
الوافي بالوفيات (تح س . دريد رينغ ، دمشق ، ١٩٥٩) .
٢٢ــ طاش كبرى زاده ، احمد بن مصطفى ت ٩٦٨هـ/١٥٦٠م .
مفتاح السعادة ومصباح السيادة (تح كامل بكرى ، القاهرة ــ د.ت) .
٢٣ــ الطبري ، محمد بن جرير ت ٣١٠هـ/١٩٢٢م .
تاريخ الرسل والملوك (تح محمد أبو الفضل ابراهيم ، مصر ، ١٩٦٩) .
٢٤ــ ابن طولون ، شمس الدين محمد بن علي ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م .
الثغر البسام فيمن ولي قضاء الشام بقضاة دمشق (تح صلاح الدين المنجد ، دمشق ، ١٩٥٦).

٢٥ــ ابن ظهيرة :

الفضائل الباهرة في محاسن مصر والقاهرة (تح مصطفى السقا ، الجمهورية العربية المتحدة ، ١٩٦٩) .

٢٦ــ العبادي ، الدكتور احمد مختار .

قيام دولة المماليك الأولى في مصر والشام (بيروت ، ١٩٦٩) .

٢٧ــ ابن عبد الظاهر ، محي الدين ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م .

الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر (تح عبد العزيز الخويطر ، الرياض ، ١٩٧٦).

٢٨ــ ابن العماد الحنبلي ، أبو الفلاح عبد الحي ت ١٠٨٩هـ/١٦٧٨م .

شذرات الذهب في إخبار من ذهب (بيروت ــ د.ت) .

٢٩ــ أبو الفداء ، عماد الدين إسماعيل ت ٧٣٢هـ/١٣٣١م .

المختصر في إخبار البشر ، (مصر ــ د.ت) .

٣٠ــ ابن الفرات ، ناصر الدين محمد ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م .

تاريخ ابن الفرات (تح قسطنطين زريق ، بيروت ، ١٩٣٩) .

٣١ــ الكتاني ، محمد بن جعفر .

الرسالة المستطرفة (كراجي ، ١٩٦٠) .

٣٢ــ ابن كثير ، أبو الفداء ت ٧٧٤هـ/١٣٧٣م .

البداية والنهاية (ط١ ، بيروت ، ١٩٦٦) .

٣٣ــ الكندي ، ابو عمر محمد بن يوسف ت ٣٥٠هـ/

الولاة والقضاة (بيروت ، ١٩٠٨) .

٣٤ــ الماوردي ، ابوالحسن علي بن محمد ت ٤٥٠هـ/١٠٥٧م .

الأحكام السلطانية والولايات الدينية (ط٢ ، مصر ، ١٩٦٦) .

٣٥ــ المقريزي ، تقي الدين احمد بن علي ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م .

الخطط المقريزية (تصحيح محمد بن عبدالرحمن العدوي ، بولاق ، ١٢٩٤) .

السلوك لمعرفة دول الملوك (تح مصطفى زيادة ــ سعيد عبدالفتاح عاشور ، القاهرة ، ١٩٣٤ ــ ١٩٧٣) .

الذهب المسبوك فيمن حج من الخلفاء والملوك ، (تح جمال الدين الشيال ، القاهرة ، ١٩٥٥) .

٣٦ــ ابن منظور ، محمد بن مكرم ت ٧١١هـ/١٣١١م .

لسان العرب (تقديم عبدالله العلايلي ، بيروت ، د.ت) .

٣٧ـ موير ، السير وليم .

تاريخ دولة المماليك في مصر (ترجمة محمد عابدين ، ط١ ، مصر ، ١٩٢٤) .

٣٨ـ النبهاني ، يوسف بن اسماعيل ت ١٣٥٠ .

جامع كرامات الاولياء (مصر ، ١٣٢٩) .

Abstract

This paper deals with the origin of Mamalik and the way in which they reached at the government in Egypt.Those Mamalik had come from different origins so they used legal causes to rule Egypt legally . They used to welcome the judges . The judge issued the orders of employing the Khalifa and the Mamlakian Sultan and he keeps their agreements and wills. This section has two subsections , the first one deals with the relationship between the judges and the Abassey Khalifas .The judge was responsible of proving the Khalifa's race, he is the first man to promise the Kkalifa even before the Mamlik Sultan . The judge had the right to give his opinion to employ the Khalifa and he had the right to dislocate the Khalifa if he was unqualified . The relationship between the judge and the Mamalik Sultan was fluctuating but mostly good.The judge went with the Sultan to the pilgrimage and wars ; his presence was considered as an enhancement to the army, since he is the legal authority.